إنّ شرك العالَم يقوم على أصلَين: (١) الشرك في العبادة، و(٢) الشرك في الحُكم والتشريع والطاعة. يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾، ثم أخبر الله تعالى في نفس السياق أنه أقام الحجة على الخَلق في الأصلَين، وأرسَل في كل أمّة رسولًا ينهى عن هذا الشرك في العبادة والتشريع: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾. أليس هذا النظام الحديث الخبيث هو تعبيد الناس للطواغيت وتغيير الدين الحنيف؟! قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس: «خلق الله: دين الله»، وقال الطبري: «يقول: ولآمرنّ النصيبَ المفروض لي من عبادك، بعبادة غيرك من الأوثان والأنداد حتى يَنسُكوا له، ويُحرّموا ويحلّلوا له، ويشرعوا غير الذي شرعته لهم، فيتّبعوني ويخالفونك». فالمسلم من أسلم وجهه لله، وتلقّى عنه في الأصول الأربعة سواء بسواء: في العقائد والأخبار، والمناسك والشعائر، والشرائع والأحكام، ونظام المُلك ومنهج الحياة. فالخالق لهذا الكون المتصرّف فيه المدبّر لأمره المالك له هو الذي له الخَلق والأمر، وهو الذي يُقرّر الاعتقاد والتصوّر للقلب، والعبادة والشعائر للجوارح، والنظام والمنهج للحياة. فمن أشرك في العقائد كالجهميّة والأشعريّة فهو مشرك، ومن أشرك في الشعائر كالصوفيّة والقبوريّة فهو مشرك، ومن أشرك في نظام المُلك ومنهج الحياة كالديمقراطية والاشتراكية فهو مشرك؛ سواءً بسواء، ومن عَذر هؤلاء المشركين ما عرف الإسلام، وهو مثلهم في الكفر سواء.

إنّ الخروج من هذه الجاهلية النكراء يكون باعتقاد بطلان أوضاعها، وترك الانقياد والخضوع لنظامها وشرائعها كالجنسيّة والمواطَنة والمدارس والمعاهد والمؤسسات الطاغوتية، وخلع الأنداد والآلهة الباطلة، والبراءة منها ومن عابديها كالمنقادين لنظامها الوضعي والمتحاكمين لشرعها والخاضعين لسلطانها من دون الله، وتكفيرهم وبغضهم وعداوتهم، واعتقاد أنهم على دين باطل، وقطع الولاء والمودّة لمن حادّ الله ورسوله، والكفر بالروابط الجاهليّة كالوطنيّة والقوميّة والعشائريّة والبعثيّة. ولا يَخرج الجاهلي من الدين الوضعي إلا باعتقاد أنّ الحُكم حقٌّ لله وحده دونما سواه، كما أنّ العبادة هي حقٌّ لله وحده دونما سواه، ويُفرِد الله بالتلقّي والاتّباع، ويتحاكم إلى شرعه حال الخصومة والنزاع، ولا يشرك بالله شيئًا في العبادة والحُكم والطاعة والمحبّة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾.

والإسلام يتحقّق بالإيمان بالله والاستسلام له بتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وإفراده تعالى بالحُكم والطاعة والتشريع والاتّباع، والولاء له ولرسوله وللمؤمنين، والبراءة من المشركين، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾، قال ابن زيد بن أسلم: «﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: الأنبياء»، وقال الطبري: «يقول: حين قالوا لقومهم الذين كفروا بالله وعبدوا الطاغوت: أيها القوم، إنا برآء منكم ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد».

اللهم أحينا على الإسلام وتوفنا عليه.



مطوية

الحجة

كيف نكون مسلمين؟

ذو القعدة ١٤٤٥ هـ

www.seiraj.com

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد: فإنّ السؤال الذي أرّق السالكين إلى الله في هذا الزمان، هو حقيقة الإسلام وماهية الإيمان؛ فلقد أصبح حدّ الإسلام بين الأنام إشكالًا مطروحًا، والعلم به بينهم مقصوصًا مبتورًا، والعمل به مهجورًا، فقلّ في الديار محققوه، وعزّ في أهل الزمان سالكوه.

إنّ ما تَنازعه الناس اليوم قد أدركه خصوم الرسالة المحمدية من أهل كتاب ووثنيين؛ فقد علموا أنه ﷺ بُعث بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والنهي عن عبادة ما سواه، وإفراد الله بالطاعة والحُكم والتلقي، والبراءة من سائر الأديان والأقوام، وتكفير من لم يأت بهذا الأصل العظيم. وقد غابت عن الفئام العظام في هذا الزمان هذه الحقائق الجسام، فغدا علماؤهم إلى القصّ والبتر والترقيع، حتى ساد دينٌ هزيلٌ، الطاعة والحُكم فيه للطواغيت؛ فدُعاة «الإسلام» اليوم يَخيطون دينهم على مقاس أقوامهم، فكلّما أحدث الأقوام شركًا أو كفرًا أو بدعةً أحدث لهم الدعاة مَخرجًا ومَسلكًا وعُذرًا، حتى صار الحقّ في سائر الديار غريبًا، وسالكه بين الغثاء مهجورًا طريدًا، والناس في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، قد اشتدّت غربة الإسلام فيما بينهم واستحكمت، وعمّت الشرور وطمّت وانتشرت، وفشا الشرك وشاع الكفر، وذاع في القرى والأمصار والبادية والحضار، وصارت عبادة الطواغيت طاعةً وانقيادًا وتحاكمًا دينًا يُدان به، هرم على ذلك الكبير وشاب عليه الصغير في مدارس الطواغيت، فصار المسلم مستخفيًا بينهم غريبًا، كما قال ﷺ: «يأتي زمانٌ على الناس يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فيكم اليوم».

فصار هَمُّ الصفوة الأخيار، تحقيق الإسلام الذي جاء به المصطفى المختار، والثبات عليه بين هؤلاء الأشرار، فلا بدّ أن نفهم حقيقة الإسلام فهمًا متكاملًا صحيحًا؛ حتى نستطيع التمييز بينه وبين هذه الأوضاع الجاهلية المحدَثة، فنجتنب منها ما صادم حقيقته، ونعتزل ما ينقض أصله.

اعلم أنّ الإسلام يقوم على قاعدة الاستسلام لله بالعبودية والطاعة، قال تعالى: ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾، قال ابن زيد بن أسلم: «وأقبلوا إليّ مذعِنين لله بالوحدانية والطاعة». وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾، قال ابن عباس: «السلم: الطاعة». وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، قال الطبري: «ونحن له منقادون بالطاعة، متذلّلون بالعبودة، مقِرّون له بالألوهة والربوبية، وأنه لا إله غيره». وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾، قال مجاهد بن جبر: «الاستجابة: الطاعة». وقال تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، قال الطبري: «فهل أنتم مذعِنون لله بالطاعة، ومخلِصون له العبادة، بعد ثبوت الحجّة عليكم؟».

فالإسلام هو الاستسلام لله بالعبادة والطاعة على حدٍّ سواء، خلافًا لمَا جرى عليه المَداخِلة؛ فالإسلام عندهم إفراد الله في الشعائر فقط، فقصَروا الشرك على عبادة القبور والأوثان، وجعلوا الشرك في الطاعة والحُكم من جملة المعاصي التي تجامِع حدّ الإسلام، وهذا الذي نخالفهم فيه جملةً وتفصيلًا، فلا شكّ ولا ريب أنّ الطواغيت في هذا الزمان قد جعلوا أنفسهم أربابًا من دون الله، يسنّون الشرائع والقوانين والأحكام، والشعوب تنقاد وتمتثل وتسمع وتطيع. أليس هذا شركًا في الطاعة والحُكم؟! أليس هذا ناقضًا للإسلام مصادمًا لحقيقته وجوهره وأصله؟! قال الطبري: «وأصل الإسلام: الاستسلام؛ لأنه من:

استسلمْت لأمره، وهو الخضوع لأمره، وإنما سمّي المسلم مسلمًا بخضوع جوارحه لطاعة ربه». أليست هذه الشعوب قد استسلمَت لأمر الطواغيت، وخضعت لشرائعهم وأحكامهم، فهي منقادة لدينهم؟! قال البغوي: «والإسلام هو الدخول في السِّلم، وهو الانقياد والطاعة، يُقال: أسلَم، أي: دخل في السِّلم، واستسلَم». أليس هذا النظام الحديث الخبيث من جنس ما فعله اليهود والنصارى مع الأحبار والرهبان، كما في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾؟! قال أبو البُختُري: «أطاعوهم فيما أمروهم به من حرام الله وحلاله، فجعَل الله طاعتهم لهم عبادة»، وقال ابن كثير: «هكذا قال حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وغيرهما في تفسير الآية: إنهم اتبعوهم فيما حلّلوا وحرّموا»، وقد صحّح النبيّ ﷺ لعَدي بن حاتم أنّ اتخاذ الأرباب ليس محصورًا بالسجود والركوع لهم أو دعائهم من دون الله، وبيَّن له أنّ العبودية لهم أعمّ من ذلك؛ وهي طاعتهم في التحليل والتحريم والتشريع، وكان هذا من شرك أهل الكتاب، وهو شرك الوثنيين كذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، قال البغوي: «أي: لا تتّخذوا غيره أولياء تُطيعونهم في معصية الله تعالى». وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، إنهم الأولياء الذين تُصرف لهم الطاعة من دون الله، وهناك أولياء تُصرف لهم العبادة من دون الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، فلا فرق بين شرك العبادة وشرك الاتّباع، ولا فرق بين شرك الدعاء وشرك الطاعة.